فرع حزب العمال الكردستاني في شمال سوريا: حزب الاتحاد الديمقراطي ووحدات الحماية

The PKK's Branch in Northern Syria: PYD-YPG

المؤلف: جان أجون، بنيامين كيسكن
Can Acun، Bünyamin Keskin

عرض: محمود الرنتيسي - Reviewed by Mahmoud Alrantisi

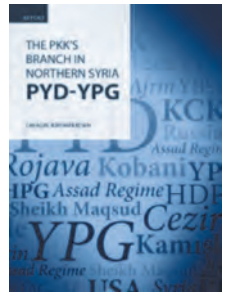

يسلّط الكتاب الصادر عن مركز الدراسات السياسية والاجتماعية والاقتصادية (ستا) في عام 2016 الضوء على حزب الاتحاد الديمقراطي في شمال سوريا، في محاولة لفهمه وتحليل دوره، وهو يسدّ فراغًا كبيرًا بالنظر إلى قلّة المراجع العلمية عن حزب الاتحاد الديمقراطي، ولاسيّما باللغة التركية، حيث يُعتَقد أن هذا الكتاب هو الوحيد الذي يتناول الموضوع باللغة التركية، وهو ما يشير إلى وجود حاجة إلى إجراء المزيد من الدراسات والبحوث.

يتكون الكتاب من نحو 50 صفحة من القطع المتوسط. لم يُقسَّم الكتاب إلى فصول بل قُسّم إلى عناوين رئيسة، تبعها عدد من الملاحق والخرائط، إضافة إلى ملحق تتضمّن وثيقة اللوائح التنظيمية لحزب الاتحاد الديمقراطي. من العناوين الرئيسة التي تناولها الكتاب: تأسيس حزب الاتحاد الديمقراطي، علاقة حزب الاتحاد الديمقراطي بالثورة في سوريا، البنية التنظيمية لحزب الاتحاد الديمقراطي والقيادة المحلية له، دور الاتحاد الديمقراطي في شمال سوريا وعملية إدارة الكنتونات... كما يتناول الكتاب في أحد عناوينه المليشيات العسكرية التابعة لحزب الاتحاد الديمقراطي وتدخلات الحزب العسكرية. لوحظ استخدام الكتاب للخرائط والوسائل التعريفية، مثل الأنفوغراف والمخططات لتوضيح وتبسيط عرض بعض الموضوعات المتعلقة بالقضية قيد البحث، ومن ذلك على سبيل المثال عرض أسماء الكنتونات وأماكنها، والهيكليات العسكرية لبنية الحزب، مع صور القادة العسكريين وأسمائهم.

يحاول الكتاب الإجابة عن عدد من التساؤلات الأساسية، التي من أهمها تحديد الديناميكيات التي يعمل من خلالها حزب الاتحاد الديمقراطي ووحدات حماية الشعب التابعة له في شمال سوريا، وطبيعة العلاقة بين حزب الاتحاد الديمقراطي وحزب العمال الكردستاني، وأهداف الحزب التي يُعدّ من أهمّها إنشاء كيان على الحدود التركية السورية.

لم يبدأ الكتاب الحديث عن حزب الاتحاد الديمقراطي في سياق خاص؛ بل ربط الحديث عنه بالتطورات التي حدثت في المنطقة، وبخاصة الربيع العربي الذي بدأ في تونس في 2011، كما تحدث الكتاب في مقدمته عن صعود الفاعلين من غير الدول بسبب الفراغات التي سببها تراجع مكانة الدولة في المنطقة، سواء في العراق أم في سوريا أم في غيرهما من الدول التي تعيش أحداثًا مشابهة، واستغلال الكثير من الفاعلين للفوضى الحاصلة في تحقيق مصالحهم وتنفيذ رؤاهم.

يرى الكتاب أن حزب الاتحاد الديمقراطي امتداد لحزب العمال الكردستاني، وأن حزب الاتحاد

الديمقراطي استفاد بشكل كبير من تداعيات الثورة السورية، وأنه أراد بالتعاون مع نظام بشار الأسد تحقيق مصالحه في شمال سوريا، وأن العنصرين الأساسيين في تصاعد دور الحزب هما: دعم حزب العمال الكردستاني له، وتعاونه مع النظام، ومن خلال هذين العنصرين أنشأ مليشيا عسكرية، هي وحدات حماية الشعبYPG ، التي قامت بدور الوصاية على رأي الكرد وقرارهم، ولاسيما الذين كانوا يؤيدون المعارضة السورية والثورة السورية، وأعلنت سيطرتها على عدد من الكنتونات، وهو ما حاول حزب العمال الكردستاني فعله في تركيا بشكل نظري، ثم استطاع أن ينفّذه بشكل تطبيقي في شمال سوريا.

أكد الكتاب أن حزب الاتحاد الديمقراطي وما يتبعه من قوى عسكرية استفادت بشكل كبير من وجود تنظيم داعش، ومن الموقف الذي أظهرته الولايات المتحدة في الحرب على تنظيم داعش، حيث قدَّم الحزب نفسه أداة للتحالف الذي تقوده الولايات المتحدة في الحرب على تنظيم الدولة، وبهذا حصل على الكثير من الدعم والتدريب من الولايات المتحدة الامريكية، وأصبح يؤدّي دورًا فاعلًا في شمال سوريا، واستطاع أن يسيطر على عدد من الكانتونات.

ولم يتوقف حزب الاتحاد الديمقراطي عند علاقته بالولايات المتحدة، حيث أنشأ علاقة مع روسيا، وهي بحسب الكتاب خطوة مصلحية مكيافيللية، وبهذا استطاع الحزب من خلال سياسته وعلاقاته مع كل من النظام والولايات المتحدة وروسيا القيام بالكثير من الخطوات التكتيكية التي مكنته من تحقيق مكاسب على الأرض في شمال سوريا، ومن السيطرة على مناطق يعيش فيها أيضًا عرب وتركمان، في طريقه نحو تحقيق هدفه، بإنشاء الشريط أو الحزام الذي يمتد إلى شواطئ البحر المتوسط.

وفي علاقة حزب الاتحاد الديمقراطي بروسيا يشير الكتاب إلى أن روسيا والحزب حاولا الاستفادة من قصف الطائرات الروسية مواقع المعارضة السورية، لتستولي وحدات الحماية الشعبية التابعة للحزب بعد ذلك على هذه المواقع برًّا، لكن بعض هذه المواقع لم يستطع الحزب مواصلة الحفاظ على سيطرته عليها، ويشير الكتاب بهذا الخصوص إلى أن الطائرات الروسية أنزلت كميات من الأسلحة في بعض القرى لدعم قوات الحزب.

ويسلط الكتاب الضوء أيضًا على سياسة التهجير التي اتّبعها حزب الاتحاد الديمقراطي، ونفذتها وحدات الحماية الشعبية التابعة له في المناطق التي سيطرت عليها، وهو ما يراه الكتاب جريمة بحق سكان المنطقة، الذين يُعانون في الأصل ظلم النظام، ومآسيَ النزوح واللجوء؛ بسبب الحرب الدائرة في أنحاء سوريا كافة.

أما بخصوص العلاقة مع تركيا فإن الكتاب يثبت أن الحزب يتّخذ موقف عدائيًّا من تركيا، وهو أصلًا يُعَدّ قاعدة مساندة لحزب العمال الكردستاني المصنّف بأنه تنظيم إرهابي في تركيا، وقد أكّد الكتاب أن حزب الاتحاد الديمقراطي إذا أراد فتح علاقة مع تركيا فإن عليه أن يثبت أنه حزب سياسي، وأن يبتعد عن اتخاذ خطوات منفردة، وأن يثبت أنه مكوّن شرعي من مكونات المعارضة السورية، وأن ينهي أي علاقة له بحزب العمال الكردستاني.

اختتم الكتاب بالحديث عن التشكيل العسكري لقوات حزب الاتحاد الديمقراطي، مشيرًا إلى أن القدرات العسكرية لحزب الاتحاد الديمقراطي موضع نقاش، ولاسيّما أن أغلب عناصر الحزب ليست لديهم خبرات قتالية سابقة، وأن تدريبهم متواضع، وأن أعمارهم تتراوح بين 16 و20 عامًا، وفي حال توسعت المساحات التي يسيطر عليها الحزب فإنه سيكون تحت

اختبار كبير، وسوف يعيش الحزب مشكلة كبيرة فيما يتعلق بتوزيع قدراته العسكرية، ويستشهد الكتاب بعملية عين العرب (كوباني)، وأن حزب الاتحاد الديمقراطي لو لم يحصل على دعم جوي من الطائرات الأمريكية لكان مُنِيَ بخسارة باهظة، وفي هذا السياق يرى الكتاب أن حزب الاتحاد الديمقراطي ضعيف من الناحية العسكرية، وفي هذه النقطة بالتحديد ينبغي القول: إن الكتاب توصل إلى هذا الحكم لصدوره عام 2016، وإنّ الفترة التي تلت ذلك شهدت تقديم الكثير من العمليات التدريبية والإمكانات العسكرية من القوات المسلحة التابعة للولايات المتحدة إلى الكثير من أفراد حزب الاتحاد الديمقراطي، وقوات سوريا الديمقراطية التي يُعَدّ الحزب عمودها الفقري، وذلك تمهيدًا لما يقال إنه استعداد للمشاركة في عملية طرد داعش من مدينة الرقة.

يُعَدّ الكتاب محاولة أولية لتسليط الضوء على حزب الاتحاد الديمقراطي، لكنها غير كافية، وبخاصة في ظل وقوع الحزب في دائرة العمل المباشر لتركيا، ولاسيّما بعد عملية درع الفرات، وكذلك لعلاقة الحزب بحزب العمال الكردستاني، ولهذا ينبغي أن تكون هناك جهود بحثية أشمل وأوسع، تتناول هذه المكوّنات بشكل أكثر عمقًا، وتركيزًا على المجالات المختلفة، ويمكن أن يُعَدّ هذا الجهد محاولة تعريفية أولية، بتقديمه معلومات أساسية عن الحزب.